

المثقف الجنوبي: المسألة والمسؤولية II

في الجزء الأول من هذه السلسلة، أجرت الجنوب: المجلة الفلسطينية للدراسات التحررية الحوارية مع روبن كييلي، وديفيد لويد، وفريد موتين، وثلاثتهم من كبار الأكاديميين والشعراء والمثقفين العامّين في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. وفي هذا الجزء، تكمل المجلة الحوارية مع أربعة مفكرين وشعراء من أصدقاء الفلسطينيين وأنصار فلسطين وقضايا الحرية والعدالة في العالم، هم: اسطفان شيحا من لبنان، وساندي بلاسيدو من آيبيتي، وسليم فالي من جنوب أفريقيا، وأثر زيا من كشمير.

وضدّ التيار، وقبالة الموج العالي لموسم نزع السلاح وسحب الذرائع في فلسطين ولبنان المستهدفتين من أعتى قوى الاستعمار العالمي تجرّاً وأعظمها تسليحاً، يفتتح اسطفان شيحا، أستاذ الدراسات العربية والشرقية والآسيوية، الحوارية بمساهمة، بعنوان: "البندقية كشيء جيّد". يستند شيحا إلى مِراسه الطويل في التحليل النفسي والمداخل الحقلية المختلفة لتفكيك الاستعمار بغية النظر إلى البندقية، كنايةً عن السلاح في عمومه، بوصفها شيئاً لاصقاً، وحميمياً، وجيّدًا. لا ينظر إليها باعتبارها أداة ثورية بيد الفدائيين ومقاتلي الحرية وحسب، بل بكونها تركة عينية وازنة، شأنها شأن مفاتيح البيوت وكواشين الأرض، تختزن شيفرة التلاحم الاجتماعي والتصوّر المخيالي للجماعة السياسية عن ذاتها سواء في حالة النضال (حركة تحرر) أو الاستقلال (كيان سياسي) غير المكتمل، والسيادة المنتهكة، سواء في فلسطين أو لبنان.

أما ساندي بلاسيدو، المؤرّخة المتخصصة في تاريخ الشعوب اللاتينية والجماعات الثورية في منطقة الكاريبي والحركات المناهضة للإمبريالية في الجنوب العالمي، فقد أسهمت في الحوارية بمدخلة، عنوانها: "إلى فلسطين، من آيبيتي"، تتناول أحوال التضامن مع فلسطين، وبشكل خاص بعد بدء حرب الإبادة على غزة والحرب المفتوحة على فلسطين ولبنان بعد 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023، وتفيد بأن نظام الفصل العنصري والإبادة الجماعية في الأراضي الفلسطينية المحتلة هما صورة مرآوية لواقع الإقصاء العنصري الذي يتعرّض له الهايتيون والسود في جمهورية الدومينيكان، وأن التضامن المناهض للإمبريالية هو أمر حتمي، من ناحية، لاشتراك هذه الشعوب في مواجهة الماضي الإمبريالي نفسه منذ سنة 1492، ومن ناحية أخرى، لأن الإرث الاستعماري المتوحّش الذي خلّفه التوحّش الإمبريالي ما يزال يحكم الخناق على حياة الشعوب المناهضة لهما في آيبيتي وفلسطين.

وفي مدخلته، بعنوان: "جنوب أفريقيا وفلسطين: تاريخ من التضامن والمقاومة"، يتجاوز سليم فالي، أستاذ أبحاث الجنوب الأفريقي والتعليم وحقوق الإنسان، طرح المقارنة المكرورة بين معاناة الفلسطينيين والجنوب الأفريقيين من نظامي الفصل العنصري هنا وهناك، نحو قراءة أكثر عمقاً لتقاطع المآسي والمصائر بين شعبين

وقعا ضحية نظامين إمبرياليين استعماريين منذ 1917 وحتى اللحظة، مبيناً تاريخ العلاقات الاستعمارية بين أنظمة التفوق الاستعماري الاستيطاني الأبيض، وسبل المقاومة المشتركة بين حركتي التحرر الجنوب أفريقية والفلسطينية (من حركة المقاطعة إلى محكمة الجنايات الدولية بعد بدء حرب الإبادة الأخيرة)، ومقارنات حقوق الإنسان والفصل العنصري في البلدين، ونقاط التحول في المشروعين الاستعماري والتحرري. هذه تقاطعات هدفها تجاوز القطائع بين فلسطين ولبنان وأييبي وكشمير وجنوب أفريقيا، واقتصارها على رمزيات التشابه والتجاذب الضخوي من باب "وكلُّ غريب للغريب نسيبٌ"، لتكون لبنة أخرى في البناء التصاعدي لمفهوم المثقف الجنوبي من حيث السؤال والمسؤولية.

وأما أثر زيا، الشاعرة وأستاذة علم الإنسان السياسي والتطبيقي، فقد رفدت الحوارية بمداخلة، بعنوان: "جراحهم هي جراحنا: مرافعة لأجل التضامن الوجداني بين فلسطين وكشمير"، تحفر فيها عميقاً في الإرث الاستعماري البريطاني وسياسة "قسّم وانسحب" التي انتهجها في كشمير وفلسطين منذ سنة 1947 وحلّت حالتين استعماريّتين مسعورتين ما تزالان تتحكّمان في مصير الشعبين الفلسطيني والكشميري حتى اللحظة. لا تكتفي زيا بطرح مفهوم التضامن الوجداني بين مجتمعات المقاومة والصمود في كشمير وفلسطين، بل تقدّم مرافعة تكشف فيها عن الجذور الإمبريالية والاستعمارية للحالتين، والتعاون العسكري الهندي-الصهيوني، واستنساخ سياسات الموت والحياة، وما نتج عنه من أنماط مختلفة من التضامن بين الفلسطينيين والكشميريين الذين تصادت في نضال حركات التحرر بينهما كثير من الرمزيات النضالية والمفردات الثورية والتعبيرات الجمالية التي لم تكن كلمة "انتفاضة" إلا واحدة منها، ناهيك عن أساليب المواجهة والصمود من الشعارات والكتابات على الجدران وإلقاء الحجارة في الشوارع وحتى قاعات المحافل والمحاكم الدولية في ظلّ شيطنة حركات المقاومة التحررية ووسمها بـ"الإرهاب" 

